17

القلب المكاني في الرباعي في دراسة صوتية

رؤية في ضوء الاستقراء

أ.د.هيام فهمي إبراهيم

الجامعة العراقية- كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

خلاصة البحث

القلب المكاني ظاهرة معروفة في العربية ، وورثتها من العربية الأم ، وتشارك فيها الألسن القديمة، وكذلك نجده في ألفاظ العامة قديماً وحديثاً ، كما يقع في كلام الأطفال .

وهذه الدراسة مبنية على الاستقراء وتحليل النصوص ، فقد استقرت الباحثة القلب المكاني للرباعي في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) ، ثم عضدتها بمجموعة من الأفعال من كتاب (الأفعال) لابن القطاع (ت515هـ) ، وفي ضوء المادة المجموعة وضعت الباحثة تعريفاً إجرائياً للقلب المكاني في الرباعي، وبحثت في أسبابه ، وفي ضوء الاستقراء تبيّن أنّ أنواع القلب المكاني ، هي:

أولاً: القلب لمرة واحدة ، مثل : بخلص ، وبلخص ، لأنّه لابد من يكون أحدهما أصلاً .

ثانياً: القلب لمرتين ، وهو أقلُّ وقوعاً من النوع الأول ، مثل : جثعل ، وجعثل ، وعثجل.

ثالثاً: القلب لثلاث مرات ، وهو الأقلُّ وقوعاً من سابقيه ، مثل: بعنق، وعبنق، وعقنب، وقعنب .

وفي هذا البحث وقفتُ على عددٍ من الكلمات المعرّبة التي حصل فيها قلب مكاني، مثل القلب في قهرمان وقرهمان ، كما وقع قلب لمرتين في الرباعي المعرّب (كسعم) و(كعسم) و(عكسم) ، بمعنى الحمار ، وهي حميرية .

وفي ضوء الاستقراء تبيّنت مجموعة من الخصائص الصوتية للقلب المكاني فصّلتها في الدراسة الصوتية، ووجدتُ أنّ أكثر الأصوات التي وقع فيها القلب هي الأصوات المذلقة، وكما يأتي وبحسب نسب وقوعها تنازلياً : (م ، ر، ل ، ف) ، وعموماً فإنّ العرب في القلب تتجه إلى الأصوات المذلقة، وغالباً تقدم المذلق على غيره ، أما إذا لم تقدم المذلق فإنّها تراعي التسلسل في السلسلة المنطوقة من الحلق باتجاه الشفتين وبدون طفرة بين المخارج الصوتية ، وهذه أفصح مراتب الكلام في تأليف كلام العرب.

Summary

Heart spatial phenomenon known in Arabic, and the successors of the Arabic language, and participate in ancient tongues, as well as the public is found in the words of ancient and modern, is also located in the words of children.

This study is based on induction and survey and analysis of texts, have stabilized researcher heart spatial quadrant in San Arab Ibn Manzoor (d. 711 AH), then Astdrki him what was mentioned by Ibn sector (d. 515 AH) in the book of Acts, in the light of Article Group developed a researcher definition procedurally to the heart of spatial quartet , and looked at the causes, and the light show that induction types of spatial Heart, are:

First: Heart Duo, any floor to fluctuate once, such as: Bkhals and Bl_khas.

Second: triple heart, which can fluctuate floor to two times, which is lower and higher compared of the duo, such as: Jtal and Josl and the Osgel.
Third: Heart quartet, which fluctuate floor to three times, which is lower and higher compared species, such as: neck and Abnq, Aknb and Qnb.
In this research, stood on a number of Arabized words where he got the heart of where I am, like the heart spatial duo in and Qarhaman, also signed the heart of the Tri-in quadruple expressed (Xam) and (Kaasm) and (Eksm), meaning ass and are Hamiria.
In the light of induction has identified a set of acoustic properties of the heart spatial in the study voice, and found that the more voices that occurred where the heart is votes Almzlqh, and also comes According to the proportions they occur Descending: (M, T, L, P), and generally, the Arabs in the heart moving to the sounds Almzlqh the, often offering Almzlq on the other, but if not provide Almzlq they take into account the sequence in the series spoken of the direction of the lips and throat without boom between vents, this eloquent speech mattress-author of the words of the Arabs.

مقدمة

اللغة نشاط إنساني لابد من أن يخضع لقانون التغير والتطور، وفي هذا البحث سنتناول ظاهرة مهمة في اللغة العربية ، هي ظاهرة القلب المكاني .

إنَّ اهتمام اللغويين القدماء والمحدثين بالقلب المكاني لم يكن بمستوى اهتمامهم بالظواهر اللغوية الأُخرى كالإبدال مثلا ، لقلة وقوعه بالنسبة إلى الإبدال مثلاً في كلام العرب ، فكلما شاعت الظاهرة أكثر كان ذلك أدعى لكثرة الدراسات فيها.

والعربية ورثت القلب المكاني من اللغة العربية الأم ، وهي تشارك الألسن القديمة في هذه الظاهرة فنجدها في الأكدية والعبرية والآرامية والحبشية واليونانية واللاتينية ، لكنه ليس بفاشٍ فيها فشوها في لغة مضر (1).

وذكرت المصادر أنَّ القلب المكاني وقع في ألفاظ العامة قديماً ، كقولهم :(خرشم في خرمش) و(لخبط في خلبط) (2) ، وفي العراق يقولون: إنَّ هذا الشيء يواسي نظيره الآخر،أي : يساوي(3).

كما نجد القلب المكاني يقع في الفاظ العامة في الوقت الحاضر، ففي مصر يقولون: (كأنه وأكنه) و(أرانب وأنارب) و(حفر وفحر) (4)، ومن أمثلة ذلك في العراق قولهم: (مرزاب ومزراب)، و(رعبون في عربون) ، ويقول السوريون: (إجا بدلاً من جاء) ، والمصري يقول : (جوز في زوج) ، و(زقف في صفق) وهنا حصل قلب وإبدال (5) .

ويمكن ملاحظة القلب المكاني عند الأطفال فيقولون:(راحبة بدلاً من رابحة) و(فريشة بدلا من شريفة) (6)

كل ما تقدم فضلاً عن ما وقفت عليه في معجم (لسان العرب) لابن منظور في أثناء قراءتي له ، كان داعياً للاهتمام بهذا الموضوع ، ونظراً لسعة ما وقفت عليه من مادة القلب المكاني في الثلاثي والرباعي وغيرهما ، أخترتُ أن يكون البحث في الرباعي فقط لتكون النتائج عميقة ودقيقة في الوقت نفسه في هذا القسم من الكلمات العربية .

وكان الجمع والدراسة الوصفية وتحليل النصوص ، ضرورة أملاها واقع الدراسة ، ويمكن أنْ نعد هذه الطريقة في الدراسات الحديثة خير مجال للحراك الحقيقي للوصول إلى النتائج عن طريق الواقع التجريبي لتسجيل الظواهر في العربية والوصول إلى نتائج مرضية وجديدة ، وهذا البحث يقسم على قسمين ، هما : الدراسة النظرية ، والثاني الدراسة العملية ، وتشمل الدراسة النظرية حدّ القلب المكاني ، وأسبابه ، والقلب المكاني عند القدماء والمحدثين ، والأصل ومقلوبه في القلب المكاني ، والقلب المكاني والمعرّب والقلب في الأعلام ، أما الدراسة العملية ، فقد جمعتُ الكلمات الرباعية التي حصل فيها قلب مكاني من معجم (لسان العرب) لابن منظور(ت 711هـ) ، ثم عضدتها بمجموعة أخرى من الرباعي من كتاب (الأفعال) لابن القطاع (ت 515هـ) ، ثم صنفتُ الكلمات المجموعة فكانت كما يأتي :

1- الكلمات الرباعية التي وقع فيه قلب مكاني لمرة واحدة ، وهي على أقسام ، وبحسب نسبة وقوعها تنازليا ، كما يأتي :

أ-القلب بين الصوتين الثاني والثالث.

ب-القلب بين الصوتين الثالث والرابع.

ج-القلب بين الصوتين الأول والثاني.

د-القلب بين الصوتين الأول والثالث.

هـ-القلب بين الصوتين الثاني والرابع.

و-القلب في الأصوات الثلاثة الأخيرة.

2-قلب لمرتين .

3-قلب لثلاث مرات .

وفي كل قسم سأعرض المادة المجموعة مرتبة بحسب الترتيب الألفبائي ، وبحسب نسبة وقوعها تنازلياً ، ليستطيع القارئ أنْ يشارك الباحث استنطاق نتائج الدراسة ، والدراسة العملية تشمل أنواع القلب المكاني والدراسة الصوتية ، ومن الله التوفيق أولاً وآخراً.

القسم الأول : الدراسة النظرية

حدُّ القلب المكاني في اللغة العربية : القلب لغةً: هو تحويل الشيء عن وجهه، وقَلَبَ الشيء وقلّبهُ : حوّله ظهراً لبطن (7) .

والقلب المكاني اصطلاحاً : فهو ظاهرة تتمثل في تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي (8)، مثل : (دِمَقْسٌ ودِقَمْسٌ) وهوالابريسم و(دملص ودلمص) ، أي: البرّاق الذي يبرق لونه (9)، والقلب في لغتنا العربية على أنواع ، هي :

1- القلب المكاني أو القلب اللغوي، وهو موضوع البحث.
2- القلب الصرفي: وأكثرما يأتي القلب في بابي المعتل والمهموز ويكون بإبدال أحرف العلة والهمزة بعضها من بعض.
3- الاشتقاق الأكبر :وعرّفهُ ابن جني (ت 392هـ) هو (أنْ تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية ، فتعتقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وان تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه)(10)، مثل: (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل) (م ل ك) (ل ك م) (ل م ك) ، فهذه التقاليب الستة تتفق بمعنى القوّة والشِّدّة (11)، وقد وقع الخلط عند عدد من الباحثين بين القلب اللغوي والقلب بمعنى الاشتقاق الأكبر ، ومنهم أحمد فارس الشدياق في كتابه (سر الليال في القلب والإبدال) وكذلك عبد الله أمين في كتابه (الاشتقاق)([12]) ، وموضوع هذا البحث عن الرباعي ، أما الاشتقاق الأكبر فخاص بالثلاثي فنحن بمأمن من اللبس في هذا الموضوع .

والقلب المكاني يقع في الكلمة المفردة ، إلا إنّ ابن فارس انفرد بقوله : إنّ القلب المكاني يكون في الكلمة المفردة ويكون في القِصة ويقصد العبارة ، ومثّل لذلك بمجموعة من الأمثلة ، منها : كأن الصفا أوراكها، إنما أراد: كأن أوراكها الصفا، ويقولون: أدخلتُ الخاتمَ في إصبعي ، والمراد أدخل إصبعه في الخاتم ، فالقلب المكاني في الكلمة الواحدة يكون بتحريك بعض أصواتها على بعض تقديماً وتأخيراً ، وليس في القرآن الكريم شيء منه ، وذكر ابن فارس مجموعة من الأمثلة في العبارة في القرآن الكريم ، ومنها قوله تعالى : "وحَرَّمنا عليهِ المراضِعَ من قبلُ" ([13]) ومعلوم أنّ التحريم لا يقع إلا على من يلزمه الأمر والنهي ، وإذا كان المعنى كذا، فالمعنى : وحرّمنا على المراضع أن يرضِعْنَهُ ، ووجه تحريم إرضاعه عليهن أن لا يقبل إرضاعهن حتى يُرَدَّ إلى أمه، ومثله قوله تعالى :"فإنّهم عدوٌّ لي إلا ربُّ العالمين" (14) ، والأصنام لا تعادي أحداً ، فكأنّه قال : فاني عدوٌّ لهم ، وعداوته لها بغضه إياها وبراءته منها (15).

ونحن نعرض لحدِّ القلب المكاني علينا أن نعرض لمسألة معنى الأصل والمقلوب ، ويتضح ذلك في تعريف جرجي زيدان ، إذ قال : (هو عبارة عن تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغييره تغييراً طفيفاً) (16).

وذكر القدماء أيضاً قضية المعنى،وقال ابن منظور في مادة (هيعر): (كأنّهُ مقلوبٌ من العيهرة ، لأنّ معناهما واحد) (17) ، فحكمه على الكلمة المقلوبة مشروط باتفاق معناهما ، وجاء في (لسان العرب) في تعليق على (سهوق) و(قهوس) و(سوهق):(الألفاظ الثلاثة بمعنىً واحدٍ في الطول والضخم والكلمة واحدة إلا إنها قُدِّمَتْ وأُخِّرَتْ ، كما قالوا في كلامهم : عَبَنقاة وعَقَبْناة وبعنقاةٌ) (18).

واشترط الأب انستاس الكرملي أيضاً اتفاق معنى المقلوب والأصل ، وقال : (ومن القلب عندهم ، القلب الذي لا يستحيل بالانعكاس، مثل: فَحَّتِ الحية وحَفَّتْ،إلا إنَّ بعض المتقعرين منهم ، قالوا : الحفيف من جلدها ، والفحيح من فيها)(19).

إلا أنّ جرجي زيدان أثار في قضية المعنى موضوعاً جديداً ، إذ قال :(...مع حفظ معناه أو تغييره تغييراً طفيفاً) (20) . فنلاحظ الرباعيين (بثعر وبعثر) يتقاربان في المعنى، فمعنى بثعر: ابثعرت الخيل : إذا ركضَتْ تبادرُ شيئاً تطلبه ، و(بعثر)، ومنه بعثر متاعه إذا فرّقه وقلّبه وبدّده ، وبُعثِر ما في القبور: أُثير وأُخرج (21)، فيمكننا القول : إنّهما مقلوبان لتقاربهما في المعنى ،أي: إنّ المقلوب المكاني يمكن أنْ يتفق مع الأصل في المعنى أو يقترب منه ، ومن أمثلته أيضاً : (بذعر وبعذر) ، لأنّ القلب المكاني هو نوعٌ من التطور الذي يلحق الأصوات ومن المؤكد أنّ التطور سيلحق المعاني أيضاً ، فبعض الكلمات وصلنا الأصل والمقلوب ، وبعضها الآخر لم يشر العلماء أيهما الأصل وأيهما المقلوب.

أما التعريف الذي أراهُ أكثر دقة ، (هو نوعٌ من التطور اللغوي يحدث للكلمة ليرتقي بها إلى درجة أعلى من السهولة في النطق والفصاحة في اللفظ ، ويحدث بتقديم وتأخير عددٍ من أصوات الكلمة الواحدة مع بقاء معنى الأصل والمقلوب واحداً أو متقارباً) ، وتفضلُ العربُ أن يقعَ القلبُ بينَ الأصواتِ المتجاورة للكلمة أكثر من الأصوات المنفصلة بأحرف الكلمة نفسها ، ويقع بين صوتين أو ثلاثة أصوات ، كما ان القلب قد يقع في الكلمة الواحدة لمرتين أو لثلاث مراتٍ .

أسباب القلب المكاني: في ضوء هذه الدراسة تبيّن للباحثة : إنّ كلَّ كلمةٍ من المقلوب ربما يكون سبب قلبها أحد الأسباب التي ذكرتها أو سبباً لم أقف عليه ، أي : ليس شرطاً أنْ يكون كل القلب المكاني له سبب واحد ، فكل كلمة أو مجموعة كلمات لها سبب غير الأسباب التي كانت سبباً في ولادة كلمات مقلوبة أخرى . واختلفت الأسباب التي ذكرها الباحثون لحصول القلب المكاني في لغتنا العربية ، وعالم العربية المعروف ابن جني قال : (والقلب في كلامهم كثير... وإن دعت

ضرورة إلى القول بقلبها كان ذلك مُضْطَرّاً إليه لا مختاراً) (22)، ومن أسباب حدوث القلب المكاني التي ذكرها المحدثون ، ما يأتي :

1-السهولة والتيسير.

2ا-لتوهم السمعي.

3-البيئة الجغرافية .

4-الحالة النفسية .

5-التفاعل بين اللغات .

6- التطور الدلالي (23)، وفيما يأتي تعريف مختصر لكل منها:

1- السهولة والتيسير: إنّ الدكتور رمضان عبد التواب من الذين قالوا بنظرية السهولة والتيسير ، إذ قال : (إنّ اللغة تميل في تطورها نحو السهولة والتيسير فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة ، وتستبدل بها أصواتاً أخرى لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً ، كما انها تحاول أن تتفادى التفريعات المعقدة والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة) (24). وسماه جرجي زيدان : السهولة وتخفيف اللفظ والتفنن فيه ، وقال : إنّ هذا القلب يحدث في الغالب اعتباطاً ، أي : يحدثُ دون وعي أو تعمدٍ (25) ، وقوله هذا يخالف قول ابن جني : إنّ القلب يحدث اضطراراً وليس اختياراً (26).

2- التوهم السمعي : إنّ بعض القلب قد يكون جاء عن طريق الخطأ والتوهم السمعي ، ويتضح ذلك في ضوء عددٍ من النصوص التي جمعتها ، كقولهم : (والعُسْبَرَةُ : السريعةُ من النوق الشديدة ، وقال الأزهري : والصحيح العسبورة ، الباء قبل السين ، في نعت الناقة) (27) وقال ابن الأعرابي عن (بهلق) : (البَلْهقةُ ، بتقديم اللام ، فردّ ذلك ثعلب ، وقال : إنّما هي البَهْلقة ، بتقديم اللام) (28) ، ومعنى البهْلق : الزَّري الخُلق أو الصَّخِبُ ، وفي مادة (زهلق) قال (ابن الأعرابي : القِراطُ : السِّراجُ ، وهو الهزْلقُ ، الهاء قبل الزاي ، وقال غيره : هو الزِّهلقُ) (29)، والتحريف الذي وقع فيه صاحب الصحاح حين استشهد على أنّ (اللجز) مقلوب عن (اللزج) ببيت ابن مقبل :

يعْلون بالمَرْدَقُوش الوَرْدِ ضاحية على سَعابيب ماءِ الضَّالةِ اللَّجز

ونسي أنّ هذا البيت من قصيدة نونية في ديوان ابن مقبل ، وصحة الرويّ : الضَّلة اللجن) (30) ، وفي ضوء النصوص المتقدمة يظهر أنّ الوهم والخطأ قد يقع في رواية عدد من الكلمات التي حدث فيها قلب مكاني ، وفي بيت ابن مقبل كان التحريف هو سبب الخطأ ، ويعلل فندريس هذه الظاهرة بالانتقال المكاني الذي (يصدر عن نفس الأصل الذي صدر عنه التشابه ، إذ ان مرد الأمر في كليهما إلى الخطأ ونقص الالتفات ولكن النتيجة مختلفة كل الاختلاف فبدلاً من تكرار

الحركة النطقية مرتين يقتصر على تغيير مكان حركتين وأخيراً يبدو الانتقال المكاني كما لو أن جزأين في كلمة واحدة قد تبادلا أحد العناصر)(31)

3 – البيئة الجغرافية : رأى الدكتور إبراهيم السامرائي أنّ وقوع القلب المكاني في ألفاظ العامة هو سبب يشعرنا أنّه من الاختلافات الإقليمية اللغوية ويرى في هذا دليلا على أن الألفاظ المقلوبة في فصيح العربية ترجع إلى السبب نفسه [32] .

4 – الحالة النفسية : قال برجستراسر : إنّ علة القلب المكاني هو (تغير الحركات في التصورات أسهل من تغيرها الموجب للتخالف ونحن نشاهد ذلك في الكتابة بالآلة الكاتبة فإذا لم نتيقظ كتبنا كل الحروف اللازمة لكن على ترتيب غير ترتيبها) (33)

5 – التفاعل بين اللغات : قال أحمد بن فارس : إنّ أحد وجوه اختلاف لغات القبائل العربية هو الاختلاف في التقديم والتأخير (34) ، فمن الممكن أن يكون المقلوب لغة لأحدى قبائل العرب ، وأصله لغة لقبيلة أخرى ، ومثال ذلك جاء في (لسان العرب) : (غذمر لغة في غذرم ، بمعنى باعَ الشيءَ جزافاً)(35) ، والقلب لا يقتصر على لغات القبائل العربية بل قد يقع في الألسن الأخرى كالفارسية والحميرية ، مثل : (شربق) لغة في (شبرق) ، بمعنى : قطع الثوب ([36]) ، و(قهرمان) و (قرهمان) وهو فارسيّ معرّب ، ومعناه : الخازن أو وكيل الملك وخاصته (37)

6– التطور الدلالي : استنتجت الباحثة هذا السبب في ضوء عددٍ من الأمثلة التي حصل فيها قلب مكاني لتقارب معناها، مثل: برشق: و(ابرنشقَ الشجرُ :إذا أزهرَ) (38) ، وفي برقش :البرقشة شبه تنقيش بألوان شتى مختلفة (39)، فمن تقارب معنى الرباعيين واتفاقهما بالأصوات نفسها مع اختلاف أماكنها تقديماً وتأخيراً يمكننا القول:إنّ هذين الفعلين دوّن معناهما وهما في طور التطور الدلالي ولم يستمر التطور الدلالي حتى يتشابه معناهما تماماً كما حدث للبقية .

7– الوصول بالمقلوب إلى درجة أعلى من الفصاحة : وهذا سبب آخر تضيفه الباحثة ظهر في ضوء الأمثلة المجموعة للبحث، ويحدث ذلك بالفطرة ،ويأتي من إحساس العربي العالي بلغته ، ومن إحساسه الكبير بجمالها ، ورغبته في إبراز مواضع الجمال فيها، فكل كلمة مقلوبة نجدها ألين على اللسان،واتبع العربي في قلبها سبيلاً لينطق الكلمة المقلوبة بفصاحةٍ أكبر، وسيتضح ذلك بالتفصيل في الدراسة الصوتية.

القلب المكاني بين القدماء والمحدثين: لقد قال جميع علماء العربية بالقلب المكاني إلا ابن درستويه عبد الله بن جعفر (ت347هـ) الذي أنكره ، وأفرد له مصنفاً باسم (إبطال القلب) ، ولم يصل إلينا وذكر ذلك السيوطي في (المزهر) (40)، أما العلماء الذين أقرّوا القلب المكاني فمنهم :الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، وسيبويه (ت 180هـ) (41) ، والليث بن المظفر(42) ، والفراء (ت 207هـ) (43) ، وأبو عبيدة (210هـ) (44) ، والاصمعي (ت 216هـ) (45)،

وأبو عبيد القاسم بن سلام في (الغريب المصنف) (ت 224هـ) (46)، وابن الأعرابي (ت 231 هـ) في (نوادره) (47)،وابن السكيت (ت 244هـ) في كتابه (القلب والإبدال) الذي نشره هفنر A.Haffner في مجموعة الكنز اللغوي في اللسن العربي, ليبزج سنة 1905في 95 صفحة ثم نشره د.حسين محمد شرف, بالقاهرة سنة 1978، تحت عنوان(الإبدال)، وثعلب (ت 291هـ) في (أماليه)(48) ،وابن دريد (ت321هـ) في (جمهرة اللغة) (49)، وأبو علي الفارسي (ت 337هـ) (50)، والنحاس (ت 338هـ) في (شرح المعلقات) (51) ،والزجاجي (ت 337هـ) في (شرح أدب الكاتب) (52)، والفارابي(ت350هـ) في معجم (ديوان الأدب) (53)،وابن خالويه (ت 370هـ) (54)، و الأزهري (ت 370هـ) في (تهذيب اللغة) (55) ،والجوهري (ت 393هـ) في (الصحاح)(56)،وابن فارس (ت 395هـ) في (الصاحبي) ،وابن القطاع (ت 515هـ) في كتاب (الافعال)،والسخاوي (643هـ) في (شرح المفصل) (57)، وابن الحاجب (ت 646هـ) في (الشافية) ، وابن عصفور(ت669هـ) في(المقرب) ، وابن منظور (ت 711هـ) في (لسان العرب) ، والسيوطي (ت 911هـ) في (المزهر) ، وغيرهم .

ومن العلماء الذين أنكروا القلب المكاني: صالح بن اسحاق الجرمي (ت 225هـ) (58) ، وابن دُرُستويه ، إذ قال السيوطي:(ذهب ابن دُرُستويه إلى إنكار القلب ،فقال في شرح الفصيح: في البِطِّيخ لغة أُخرى طِبيخ، بتقديم الطاء ، وليست عندنا على القَلْب كما يزعم اللغويون ،وقد بيّنا الحجة في ذلك في كتاب إبطال القلب)(59) .

كما اهتم المحدثون بهذه الظاهرة فصنفه المستشرق برجستراسر من أنواع التغيرات التي حصلت في اللغة العربية (60) ، وعدّه الأب انستاس ماري الكرملي من مُوَسِّعات اللغة العربية كالإبدال والتصحيف والتحريف وتشابه رسم الحروف والتعريب (61) ، ووضعه د.نعمة رحيم العزاوي تحت عنوان قوانين التطور اللغوي (62) أما د. رمضان عبد التواب فعدّه من أنواع التغيرات التاريخية التي وقعت في اللغة العربية ، ومثّل لذلك ب(خرمش) التي قُلِبتْ إلى خرشم ،و(خلبط) التي أصلها (لخبط) (63).

ومن المحدثين الذين اهتموا بظاهرة القلب المكاني جرجي زيدان ،وعرّفها بقوله: (عبارة عن تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغييره تغييراً طفيفاً) (64) ، واهتم بالقلب المكاني الدكتور عبد الصبور شاهين ، وقال عنه: هو (إمارة تطور حدث في نطق الكلمة) (65) ، ولم أقف على باحث محدثٍ أنكر وقوع القلب المكاني في اللغة العربية.

الأصل والمقلوب في القلب المكاني: إنَّ تحديد الأصل من مقلوبه في القلب المكاني مسألة مهمة في هذا الموضوع ، فنجد العلماء العرب القدماء قد يختلفون في الأصل، فقد ورد في (لسان العرب) : (قال ابن الأعرابي : هي البَلْهقة بتقديم اللام ، فردّ ذلك ثعلب وقال إنما هي البَهْلقة ، بتقديم الهاء على اللام) (66)، ومعنى البهلق كما جاء في اللسان : الزَّرِيُ الخُلُقِ أو الصخبُ أوالداهية . وفي

نصوص كثيرة نجد الشك في القلب، كقولهم : (الطُّرْحُومُ نحو الطُّرْمُوح ، وهو الطويل ، قال ابن دريد : أحسبه مقلوباً) (67)، وذكرالعلماء الأوائل مجموعة من الطرائق لمعرفة الأصل في القلب غير القياسي ، إذ قال سيبويه عن أحدها : إنّ ما لحقته الزيادة يكون فرعاً ، نحو: اطمأنّ مقلوب طأمن ، وحجة سيبويه أنّ(طأمن)غير ذي زيادة ، واطمأنّ ذو زيادة ، والزيادة إذا لحقت الكلمة لحقها ضربٌ من الوَهْن لذلك فتكون فرعاً وهي المقلوبة (68).

أما ابن جني فذكر طريقة ثانية لمعرفة الأصل ، إذ قال : (إعلمْ أنّ كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أنْ يكونا جميعاً أصلين وليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره، وإنْ لم يمكن ذلك حكمت بأنّ أحدهما مقلوب عن صاحبه ، ثم أريتَ أيُّهما الأصل ، وأيُّهما الفرع) (69) ، ومثّل لذلك بالفعلين جذب وجبذ فكلاهما أصلان وليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه ، لأنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً ، فنقول: جذب يجذب جذبا ، وجبذ يجبذ جبذاً (70) ، أما إذا (قصّر أحدهما عن تصرف صاحبه ولم يساوه فيه ,كان أوسعهما تصرفا أصلا لصاحبه) (71) ، ومثاله: أنى الشيءُ يأني ، ومصدره الإنّي ، وآن يئين ولا نجد له مصدراً، واضمحل مصدره الاضمحلال ، أما امضحل فهو المقلوب لأنّه لا مصدر له وكذلك اكفهر مصدره الاكفهرار أما اكرهف فلا مصدر له (72)، وقال السيوطي عن هذه الطريقة : (فإذا وُجِدَ المصدران حكمَ النحاة بأنّ كلّ واحد من الفعلين أصلٌ ، وليس بمقلوبٍ عن الآخر، نحو : جبذ وجذب ، وأهل اللغة يقولون : إنّ ذلك كلّه مقلوبٌ)(73)، أي أنّ النحاة واللغويين على خلافٍ في هذه المسألة ، و(قال السخاوي في شرح المفصل : إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدراً، لئلا يلتبس بالأصل ، بل يقتصر على مصدر الأصل ، ليكون شاهدا للأصالة ، نحو: يَئِسَ يأساً ، وأيس مقلوب منه ولا مصدر له) (74)، وطريقته للوصول إلى الأصل في هذا المثال هي : صحة الياء من دون إعلال ، فنلاحظ تحرك الياء وفتح ما قبلها في أَيِسَ وذلك يوجب قلبها ألفاً ، لكن عدم إعلالها يعني صحة الياء ، وهذا فيه دلالة على القلب الواقع في الكلمة (75).

وطريقة أخرى لمعرفة الأصل هي الاشتقاق ، و(قال الزجاجي في شرح أدب الكاتب :ذكر بعضُ أهل اللغة :إنّ الجاه مقلوب من الوجه ،واستدل على ذلك بقولهم :وجه الرجل فهو وَجيه إذا كان ذا جاهٍ ،ففصلوا بين الجاه والوجه بالقلب) (76) ، والعرب في جاه ووجه استعملوا المقلوب والأصل معاً ، فاستعملوا طريقة الاشتقاق لمعرفة الأصل وهو وجه.

وطريقة رابعة لمعرفة الأصل ، هي : قلة الاستعمال ، فالأكثر استعمالاً هو الأصل ، وقد أجد في إشارة ابن منظور إلى القلب هذه الطريقة ، إذ قال : (اذْمَقَرَّ اللَّبَنُ وامْذَقَرَّ: تَقَطَّعَ ، والأولُ أعرفُ) (77)، فقوله أعرف،أي:أكثر استعمالاً وهو الأصل، وقال أبو حيان الأندلسي عن القلب على غير قياس: (الذي يعلم به الأصالة من القلب أن يكون أحد النظمين أكثر استعمالاً من الآخر، أو أكثر تصريفاً ، أو مجرداً من الزوائد ، أو يكون فيه ما يشهد أنّه الأصل والآخر ليس كذلك)(78) ،

أما برجستراسر فيرجع إلى الأصول الأولى للكلمة لمعرفة الأصل من المقلوب ، وقال : أحيانا لمعرفة الأصل نحتاج إلى استعراض الكلمات المقابلة في المعنى في سائر اللغات السامية ، مثال ذلك : إنا نجد في العربية شمأل وشأمل، أي : الشمال ، ونرى من العبرية أنّ شمأل وهو الأصل وشأمل مقلوب منه ، وأحياناً فقدت اللغة العربية الصورة الأصلية ، وحافظت على الصورة الجديدة فقط ، ومثال ذلك كلمة : (مع) فإنّها في العربية دائما على هذه الصورة إلا إنا نجدها تقابل الكلمة العبرية المقلوبة (عِمْ)(79) ، ومثال آخر كلمة (ركبة)وهي في الأكدية والعبرية والآرامية والحبشية (بُركة) وقلبت في العربية إلى (رُكبة) (80) ، ولا أريد أن أُطيل في الموضوع فكتب الصرف القديمة والحديثة كلّ كتابٍ تناول القلب القياسي أو غير القياسي فيه تفصيل وافٍ للموضوع (81) ، وما عرضته كان لأبيّن أنّ مشكلة الأصل والمقلوب في القلب المكاني واجهت العلماء الاوائل ، وهي مشكلة مهمة واجهها بحثنا أيضاً ، لأننا لو علمنا أصل كل كلمة مقلوبة كان يمكن أنْ نضع قاعدة صوتية للقلب المكاني ، وكذلك لاستطعنا أن نقف على السبب الحقيقي للقلب المكاني وبدون تخمينات واستعمال كلمة (ربما) .

القلب المكاني في العلم والمعرّب: لقد نتج من الاستقراء : إنّ القلب المكاني كثيراً ما يحصل في العلم ، كاسماء الحشرات والطيور والنباتات واسماء الأشياء ، نحو : (والقُمْعُوطةُ والمُقْعُوطةُ ، كلتاهما دويبة ماءٍ) (82) ، و(الطُّرْموقُ: الخُفّاشُ ، وقيل طُمْرُوق) (83) ، و(الغُنْبُولُ والنُّغبول : طائر) (84) ، ومِدَقسٌ ودَمَقْسٌ ودِقَمْسٌ : الابريسم أو الكتان (85)، و(الصُّعْمورُ: الدُّولاب كالعُصْمُورُ)(86) ، كما نتج من الاستقراء الوقوف على عددٍ من الكلمات المعرّبة التي حصل فيها قلب مكاني، فقد وقع قلب مكاني ثنائي في عددٍ من الكلمات ، مثل (شربق) فقد ذكر ابن منظور: أنّها لغة في (شبرق) ، وشبرقتُ الثوب : قطّعتهُ (87) ، وسلمج وسلجم, وأصله بالشين والعرب لا تتكلم إلا بالسين، معرّب ومعناها: (يُقالُ للنِّصال المحدَّدَةِ:سَلاجِمُ وسَلامِجُ)(88)، وقهرمان وقرهمان, وهو فارسي معرّب ، بمعنى: الخازن أو وكيل الملك وخاصته (89) ، كما وقع قلب لمرتين في الرباعي المعرّب (كسعم) و(كعسم) و(عكسم) ، بمعنى الحمار ، حميرية، وأشار ابن منظور إشارات جزئية إليها في ترجمة المواد المقلوبة (90).

فنلاحظ أنّ الكلمات المعرّبة اكتسبت خصائص اللغة التي انتقلت إليها، بل يمكننا القول: إنّها عربية، وأجد أنّ قول العلماء إنّها معرّبة من باب الإشارة إلى الأصل فقط، كما نلاحظ أنّ هذه الكلمات من أصولٍ مختلفة فبعضها فارسي ومنها حميري، ومنها لغة لقبائل العرب، مثل: (شربق).

القسم الثاني : الدراسة العملية

لقد بحث الدكتور عبد الفتاح الحموز القلب المكاني في كتابه (ظاهرة القلب المكاني في العربية) وفي كتابه جمع أنواع القلب المكاني للثلاثي وغير الثلاثي ثم قسم كل نوع إلى ثلاثة أقسام : جمع التكسير ،والاسم ،والفعل،ثم عزز كل نوع بما جمعه من أمثلة،وكل نوع قسمه بحسب مرتبة الأصوات التي وقع فيها القلب المكاني ،أما في هذا البحث فقد اكتفيت بالألفاظ الرباعية فقط ثم رتبتها بحسب مرتبة الصوت ، ولاحظت التشابه الكبير بين أمثلة الرباعي في بحثي وبحث دكتور حموز، لكن لطريقة الترتيب وتناول الموضوع بطريقة مختلفة قد نحصل على نتائج مختلفة .

أنواع القلب المكاني:

في ضوء المادة التي استقريتها من (لسان العرب) وكتاب (الأفعال) لابن القطاع عن الرباعي المقلوب اتضح للباحثة أنّه يمكن تصنيف القلب المكاني بالنظر لعدد الأصوات التي حصل فيها القلب المكاني, وكما يأتي:

أولا: القلب بين صوتين في الرباعي ، وهو على أنواع ،وكما يأتي مرتبة بحسب نسب وقوعها تنازليا:

أ- القلب بين الصوتين الثاني والثالث ، والكلمات الرباعية التي تقع تحته هي كما يأتي مرتبة بحسب الترتيب الألفبائي ، وحرصاً على الفائدة ذكرتُ كلمة (أشار) للقلب المكاني الذي أشار له ابن منظور أو ابن القطاع بالأمثلة فقط دون أن يحدده أحدهما بكلمة قلب مكاني، أما الرباعي الذي وصفوه بمقلوب فاستعملتُ له كلمة (ذكر) ، فضلاً عن أني استعملتُ كلمة (استنتاج) لما كان من استنتاج الباحثة بالربط بين الأمثلة ومعانيها ، وكما يأتي :

1- بثعر وبعثر- استنتاج- ينظر اللسان (ب ث ع ر) و(ب ع ث ر) .

2- بخلص وبلخص - أشار لذلك ابن منظور في ترجمتي (ب خ ل ص) و(ب ل خ ص).

2- بذعر وبعذر- استنتاج - ينظر اللسان (ب ذ ع ر) و(ب ع ذ ر).

3- بلهص و بهلص - أشار لذلك ابن منظور في (ب ه ل ص).

4- بهلق وبلهق- أشار لذلك ابن منظور في (ب ه ل ق).

5- ثلمط وثملط - استنتاج - ينظر اللسان (ث ل م ط) وابن القطاع .

6- جعمر وجمعر - أشار لذلك ابن منظور في (ج ع م ر) .

7- جلهق وجهلق-أشار لذلك ابن منظور في (ج ل ه ق) و(ج ه ل ق) .

8- حزرق وحرزق - ذكر ابن منظور في (حرزق) انها لغة ,وأشارفي (ح ز ر ق)

9- حقلد وحلقد - استنتاج - لسان العرب ترجمة المادتين .

10- خربق وخبرق - أشارابن منظور في (خ ر ب ق).

11- خصلف وخلصف – استنتاج – ينظر اللسان (خ ص ل ف) وابن القطاع.

12- دحمق ودمحق – أشار ابن منظور في (د ح م ق) و(د م ح ق).

13- درعم و دعرم– أشار ابن منظور في (د ر ع م) و(د ع رم).

14- دلهث ودهلث–أشار ابن منظور في (د ل ه ث) و(د ه ل ث).

15- دلمص ودملص–ذكر ابن منظور انه قلب في (د م ل ص) وأشار في (د ل م ص).

16- ذعلب وذلعب –ذكر ابن منظور إنّ ذلعب مشتق من ذعلب، أي: الأصل (ذعلب) ،ينظر ترجمة (ذ ل ع ب).

17- زبغر وزغبر–أشار ابن منظور في (ز ب غ ر) و(ز غ ب ر) .

18- زحلف وزلحف – ذكر ابن منظور القلب في (ز ل ح ف) وأشار له في (ز ح ل ف).

19- سبحل وسحبل – أشار ابن منظورلذلك في ترجمة المادتين.

20- شبرق و شربق– شربق لغة في شبرق ذكر ذلك ابن منظور في (ش ر ب ق) وأشار له في (ش ب رق) وهو أعجمي.

21- طحمر وطمحر – طمحر لغة في طحمر ذكر ذلك ابن منظور في (ط م ح ر)

22- طرمق وطمرق– أشار ابن منظور لذلك في (ط ر م ق) فقط.

23- عبسر و عسبر –أشار ابن منظور لذلك في (ع س ب ر) فقط.

24- عبقل و عقبل –أشار ابن منظور لذلك في ترجمة المادتين.

25- عشنط وعنشط– أشار ابن منظور لذلك في ترجمة المادتين .

26- عفقس و عقفس –أشار ابن منظور لذلك في ترجمة المادتين .

27- عكلد وعلكد – أشار ابن منظور لذلك في (ع ك ل د) فقط.

28- عملس وعلمس – أشار ابن منظور إلى القلب في(ع م ل س) فقط ولم يترجم للرباعي (ع ل م س).

29- غرضف وغضرف– غضروف لغة في غرضوف ، ذكر ذلك ابن منظور في (غ ر ض ف) وأشار له في (غ ض ر ف).

30- قضعب وقعضب – استنتاج – ينظر(اللسان) (ق ع ض ب) وكتاب (الأفعال).

31- قضعم وقعضم – أشار ابن منظور لذلك في (ق ض ع م) فقط.

32- قلمس وقملس – أشار ابن منظور لذلك في (ق م ل س) فقط.

33- كثحم وكحثم – أشار ابن منظور لذلك في (ك ح ث م) فقط .

34- هجرع وهرجع – ذكر ابن منظور :هرجع لغة في هجرع في ترجمة المادتين.

35- هلطس وهطلس–أشارابن منظورللقلب في ترجمة(هـ ل ط س).

36- هلمط وهملط – استنتاج – ينظر اللسان (هـ م ل ط) وكتاب (الأفعال).

ب- القلب بين الصوتين الثالث والرابع,والكلمات التي تقع تحته ،هي كما يأتي ،وبحسب الترتيب الألفبائي :

1- برشق وبرقش – استنتاج– ينظر اللسان في ترجمة المادتين.

2- جحرش وجحشر– أشار لذلك ابن منظور في ترجمة المادتين.

3- جرضم وجرمض – استنتاج – ينظر اللسان ترجمة المادتين .

4- حبجر وحبرج – أشار ابن منظور لذلك في (ح ب ر ج) فقط.

5- حدقل وحدلق – استنتاج – ينظر اللسان ترجمة المادتين .

6- حردم وحرمد – استنتاج – ينظر اللسان ترجمة المادتين.

7- دحقل ودحلق – استنتاج – ينظر اللسان ترجمة المادتين.

8- دعبل ودعلب – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

9- دهثم ودهمث – اشار ابن منظور الى القلب في (د هـ م ث) فقط.

10- ذحلم وذحمل–استنتاج الباحثة– ينظر اللسان(ذحلم) وكتاب الأفعال.

11–رهسم ورهمس – الاشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

12–زحقل وزحلق – استنتاج– ينظر اللسان في ترجمة المادتين .

13–سرطم وسرمط – استنتاج – ينظر اللسان في ترجمة المادتين .

14–سلجم وسلمج – الاشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

15–شغزب وشغبز – استنتاج – ينظر اللسان في ترجمة المادتين .

16–شهبر وشهرب – الاشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

17–صعبر وصعرب – اشار ابن منظور الى القلب في ترجمة (صعبر) فقط.

18–طربخ وطرخب – اشار ابن القطاع الى القلب في (طربخ) فقط.

19–طرحم وطرمح – ذكر ابن منظور انه مقلوب في المادتين .

20- طرشم وطرمش – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

21- عكبش وعكشب – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

22- غذرم وغذمر – ذكر ابن منظور إنّ غذمر لغة في غذرم في ترجمة (غ ذ م ر) فقط واشار له في (غ ذ ر م).

23- غسبل وغسلب – استنتاج– ينظر اللسان ترجمة المادتين .

24- قحفل وقحلف – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

25- قربع وقرعب – أشار ابن منظور الى القلب في (ق ر ب ع)فقط .

26- كلحم وكلمح – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

27- لهمج ولهجم – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

28- هتلم وهتمل – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

29- هثرم وهثمر – استنتاج – ينظر الافعال ولم يترجم ابن منظور للرباعيين.

30- هذلم وهذمل – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

31-هرشد وهردش – استنتاج- ينظر اللسان في ترجمة المادتين .

ج-القلب بين الصوتين الأول والثاني، والكلمات الرباعية ،التي تقع تحته فيما يأتي مرتبة حسب الترتيب الألفبائي،مع المصدر الذي وردت فيه:

1- بحرت وحبرت – الإشارة في اللسان في ترجمة (ب ح ر ت).

2- جرعن ورجعن – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

3- حدرج ودحرج – استنتاج –ينظر اللسان في ترجمة المادتين.

4- ذرعف ورذعف – الإشارة في اللسان في (رذع ف) فقط.

5- ذمقر ومذقر – ذكر اللسان في ترجمة المادتين إنّ ذمقر أعرف ، أي : هي الأصل .

6- هزلق وزهلق – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

7- صمعر وعصمر – الإشارة في اللسان في (ص ع م ر) فقط.

8- عنظل ونعظل – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

9- غدفل ودغفل – الإشارة في اللسان في (غ د ف ل) فقط.

10-غنبل ونغبل – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

11-قمعط ومقعط- الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

12-قنثل ونقثل- الإشارة في اللسان في (ق ن ث ل) فقط .

13-نهبر وهنبر – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

14-نهبل وهنبل – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

د-القلب بين الصوتين الأول والثالث،والكلمات الرباعية التي تندرج تحته فيما يأتي مرتبة وبحسب الترتيب الألفبائي،مع المكان الذي وردت فيه :

1- بركع وكربع- الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

2- بعكر وكعبر – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

3- ثرطم وطرثم – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

4- رمحس وحمرس – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

5- زلقم وقلزم – ذكر ابن منظور قُلْزُم مقلوب زلقم في ترجمة (ق ل ز م) وأشار له في (ز ل ق م).

6- سرطع وطرسع – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين.

7- طلفح وفلطح – الإشارة في اللسان في(ط ل ف ح) فقط.

8- عيهر وهيعر – ذكر اللسان عن أبي منصور عن الليث : إنَّ هيعر كأنه مقلوب من عيهر في ترجمة (هـ ع ر) .

9- فنقع وقنفع – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

هـ- القلب بين الصوتين الثاني والرابع ،والكلمات التي تندرج تحته فيما يأتي مرتبة وبحسب الترتيب الألفبائي :

1- خبعث وخثعب – الإشارة في اللسان في ترجمة (خ ب ع ث) فقط.

2- عزهل وعلهز – الإشارة في اللسان في ترجمة (ع ل هـ ز) فقط.

3- قعثل وقلعث – الإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

ثانيا : القلب المكاني في الرباعي بين ثلاثة أصوات ، ومن أمثلته التي وقفت عليها مرتبة بحسب الترتيب الألفبائي ،هي:

1- زقفل وزفلق ، والقلب بين الرباعيين من استنتاج الباحثة.

2- قعثل وقلعث،والإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

3- كلسم وكملس ، والإشارة في اللسان في ترجمة المادتين .

كما يقع القلب بين ثلاثة أصوات في القلب الثلاثي، كما في:

4- سلغم وسملغ وسمغل، والقلب هنا ثلاثي ،أي:وأشار ابن منظور إلى القلب بين سملغ وسلغم في (س م ل غ) فقط ، والبقية من استنتاج الباحثة.

ويمكن في ضوء الاستقراء أنْ نصنف القلب المكاني في الرباعي تصنيفا آخر ، هو كما يأتي :

أولاً: القلب لمرةٍ واحدةٍ .

ثانيا: القلب لمرتين.

ثالثا: القلب لثلاث مرات ، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

أولاً: القلب لمرةٍ واحدةٍ : وهو أنْ نحصل من جراء القلب على كلمتين أحداهما الأصل ، مثل: بخلص وبلخص، وهو أكثر أنواع القلب وقوعاً ، ويضم كل أمثلة أنواع القلب بين صوتين وثلاثة أصوات ، وقد مرّ ذكرها .

ثانياً : القلب لمرتين : ونحصل من جرائه على كلمتين والثالثة نعدّها أصلاً ، مثل: جثعل، وجعثل ، وعثجل ، وهو أقل من النوع الأول وقوعاً في كلام العرب ، أما القلب لثلاث مراتٍ فهو أقل الثلاثة وقوعا ، وسيأتي لاحقا . وقد أشار العلماء القدماء للقلب ثلاث مرات في الرباعي، ومن أمثلته : إشارة ابن منظور في (لسان العرب) في ترجمة (جثعل) وتقاليبها ، وفي ترجمة (دحسم) وتقاليبها ، وفي ترجمة (قرفع) وتقاليبها ، وفي ترجمة (لعمظ) وتقاليبها ، وسيأتي تفصيله ، وهذا

شجع الباحثة على استنتاج تقاليب أخرى بسبب اشتراكها في المعنى وفي الأصوات نفسها ، ومن المهم أن أذكر أنّ الإشارة في (لسان العرب) إلى القلب لمرتين قد تكون الكلمات الثلاث متقاربة في معانيها وليست متفقة في معانيها ، ومن أمثلة ذلك الأفعال (دحسم ودمحس ودحمس) ، فمعنى دحسم ودمحس : السيء الخُلُق الدّنئ ، ومعنى دحمس : اشتدّ الظلام ، وأشار ابن منظور إلى هذا القلب إشارة كاملة في ترجمتي(دحسم ودمحس) ، وهذا أعطى مساحة للباحثة لمقارنة الكلمات المتشابهة والاستنتاج كما في (قصلم وقصمل وقلصم) وغيرها ، ولا أنكر أني في مرحلة جمع المادة ومقارنة بعضها ببعض ارتكبتُ عدداً من الأخطاء في كلماتٍ متشابهة بالأصوات لكنها مختلفة في معانيها ، مثلاً(ذحلم وذحمل وحذلم) ، فذحلم ترجم لها ابن منظور ومعناها : صرع ، وذحمل ترجم لها ابن القطاع ومعناها : صرع أيضاً ، وحذلم ترجم لها ابن منظور ومن معانيها : دحرج مثلاً ، فاستبعدتُ (حذلم) وحوّلتُ المثال إلى القلب لمرةٍ واحدة ، ووقعتُ في وهمٍ آخر في الأفعال(قلعف وقلفع وقفعل) فقد أدرجتها ضمن أمثلة القلب لمرتين ، ثم وقفتُ عند قول ابن منظور عن(قلعف) ، إذ قال: لغة أخرى في (قفعل) كجبذ وجذب ، بمعنى أنّها ليست منقلبة وإنما كلاهما أصل ، فاستبعدتها من الدراسة ، وفيما يأتي أمثلة القلب لمرتين التي وقفتُ عليها ، وبحسب الترتيب الألفبائي :

1- حبتر وحترب وبحتر : أشار اللسان إلى القلب في (ح ب ت ر) ، وإشارة جزئية في ترجمة (ب ح ت ر) فقط .

2- بخدن وبخند وخبند : أشار ابن منظور إلى القلب المكاني بين بخند وخبند في ترجمة المادتين ، واستنتجت الباحثة القلب الثلاثي لاشتراكهما في المعنى والحروف نفسها .

3- جثعل وجعثل وعثجل : الإشارة الكاملة إلى هذا القلب في ترجمة (ج ث ع ل) ، وإشارة جزئية في (ج ع ث ل) .

4- جحلم وحملج وحلجم : أشار ابن منظور إشارة جزئية إلى القلب بين جحلم وحملج في ترجمة (ج ح ل م) فقط ، وقلبه لمرتين مع حلجم استنتجته الباحثة ، علماً أنَّ الرباعي الأخير ذكره ابن القطاع فقط .

5- خذعب وبخذع وبذخع : (بذخع) ذكره ابن القطاع فقط ، والقلب هنا من استنتاج الباحثة لاشتراكهم في المعنى وفي الأصوات نفسها .

6- دحسم ودمحس ودحمس : أشار ابن المنظور إلى القلب إشارة كاملة في ترجمتي دحسم ودمحس وإشارة جزئية ففي دحمس .

7- سبغل وسغبل وسغلب : أشار اللسان إلى القلب بين سبغل وسغبل في ترجمة المادتين, أما سغلب فذكره ابن القطاع والقلب فيه من استنتاج الباحثة .

8- سملغ وسلغم وسمغل : القلب في الثلاثة أصوات الأخيرة من الرباعي ، وأشار ابن منظور إلى القلب بين (سملغ) و(سلغم) في (س م ل غ) فقط ، والبقية من استنتاج الباحثة بالربط بين معاني الأفعال الثلاثة ، فالثلاثة بمعنى : الطويل ، فضلاً عن تشابهها في الأصوات نفسها مع تقليبها.

9- قهوس وسهوق وسوهق : أشار ابن منظور إلى القلب في ترجمة (سهق) فقط .

10- كسعم وكعسم وعكسم : الإشارات في لسان العرب عن القلب جزئية في ترجمة كل مادة ، علماً أنّ الكلمة حميرية ، وجرى عليها القلب الذي هو من خصائص العربية .

11- ضرزم وضمرز وضمزر: أشار ابن المنظور إشارات جزئية في ترجمة المواد المذكورة .

12- عبقر وقعبر وقبعر : ترجم ابن منظور للكلمات الثلاث، لكنه ذكر إشارة جزئية للقلب في المادتين (قعبر) و(قبعر) والباقي من استنتاج الباحثة .

13- عسطل وعلسط وعسلط : الإشارة في لسان العرب إلى القلب المكاني جزئية في ترجمتي (عسطل) و(علسط) ، أما (عسلط) فترجم له ابن القطاع فقط .

14- فرقع وقرعف وقرفع : أشار ابن منظور إلى هذا القلب إشارة كاملة في (قرفع) ،وإشارة جزئية في ترجمتي (فرقع) و(قرعف).

15- قصمل وقصلم وقلصم : ترجم ابن منظور للرباعيين (قصمل) و(قصلم) فقط ، والقلب في الجميع من استنتاج الباحثة.

16- قعمل وقمعل وقلعم : الإشارة إلى القلب وردت جزئية في اللسان في ترجمة المواد المذكورة ، والقلب كان من استنتاج الباحثة.

17- لعظم ولعمظ ولمعظ : أشار ابن منظور إلى القلب إشارة كاملة في(ل ع م ظ) ، وإشارات جزئية في المادتين الأخريين.

18- مدقس ودمقس ودقمس : لم يترجم ابن منظور للرباعي دقمس ، وأشار إلى القلب بين دمقس ومدقس في ترجمة المادتين ، والقلب لمرتين من استنتاج الباحثة.

ثالثا: قلب لثلاث مرات: وهو أن تتقلب أصوات الكلمة لثلاث مراتٍ ، مثل : بعنق ، وعبنق ، وعقنب ، قعنب ، ووقوعه قليل جداً ، إذ وقفت على مثالين فقط الأول ذكره صاحب اللسان والمثال الثاني من استنتاج الباحثة ، والتقليبات لكلا المثالين متفقة في معانيها ، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

1- بعنق وعبنق وعقنب وقعنب : وجاء في اللسان : (عُقاب عَقَنْباةٌ وعَبَنْقاةٌ وقَعَنْباةٌ وبَعَنْقاةٌ : حديدةُ المخالب ، وقيل :هي السريعة الخَطف المُنْكرة ، وقال ابن الأعرابي : كلُّ ذلك على

المبالغة...)(91) ، وأشار ابن منظور إلى القلب في ترجمة ثلاث مواد، وحدده بلفظ القلب في ترجمة (ع ق ن ب) فقط.

2- واستنتجت الباحثة القلب لثلاث مرات في عضله وعلضه وعلهض وعضهل ، فقد أشار ابن منظور إلى القلب المكاني بين الرباعيين علهض وعضهل فقط ، أما عضله وعلضه فقد ترجم لهما ابن القطاع ، وشجعني على هذا الاستنتاج إشارة ابن منظور إلى القلب في(ب ع ن ق) ، فضلاً عن اتفاقهما بالأصوات نفسها وبالمعنى وهو: صمّ رأس القارورة.

الدراسة الصوتية:

على ضوء المادة التي استقريتها من كلام العرب وصنّفتها تحت عنوان أنواع القلب المكاني يمكن أن نعرض لمرتبة الأصوات التي حصل فيها القلب المكاني فضلاً عن عددها وكما يأتي :

أولا: القلب بين صوتين في الرباعي وهو على أقسام ، هي :

1-القلب بين الصوتين الثاني والثالث وبلغ عدده 36.

2- القلب بين الصوتين الثالث والرابع وبلغ عدده 31.

3- القلب بين الصوتين الأول والثاني وبلغ عدده 14.

4-القلب بين الصوتين الأول والثالث وبلغ عدده 9.

5- القلب بين الصوتين الثاني والرابع بلغ عدده 4.

ثانيا: القلب بين ثلاثة أصوات متجاورة ، هي : الصوت الثاني والثالث والرابع وتكرر 4 مراتٍ.

وعلى ضوء أنواع القلب المكاني يمكن أن نتبين مجموعة من الخصائص الصوتية للقلب المكاني ، هي كما يأتي :

1-القلب بين صوتين في الرباعي أكثر من القلب بين ثلاثة أصوات ، فالقلب بين صوتين ، بلغ عدد تكراره (94) مرةً ، والقلب بين ثلاثة أصوات تكرر(4) مراتٍ فقط .

2-القلب بين صوتين متجاورين أكثر من القلب المكاني بين الأصوات غير المتجاورة ، إذ بلغ مجموع القلب في الأصوات المتجاورة (81) مرةً ، وغير المتجاورة (13) مرةً.

3- إنّ العربي يفضل في القلب الأصوات الوسطية في الرباعي ، أي : الثاني والثالث ، وبلغ مجموعها (36) مرة ثم الصوتين الأخيرين المتجاورين وبلغ مجموعها(31) مرة ، وفي المرتبة الأخيرة يفضل العربي القلب بين الصوتين الأولين من الرباعي وبلغ مجموعها (14) مرة.

4- القلب بين ثلاثة أصوات أقل وقوعا من القلب بين صوتين ، فضلاً عن أن العربي يختار الأصوات الثلاثة المتجاورة الأخيرة في الرباعي ، أي : تتفق الخصائص الصوتية سواء كان القلب بين صوتين أو ثلاثة فوقع اختيار العربي على الأصوات المتجاورة الوسطية والأخيرة في الرباعي .

كما انه قد ثبت لنا في طيات هذا البحث أنَّ تحديد المقلوب المكاني من أصله هو أساس الموضوع وصلبه ، وكان العلماء العرب القدماء لا يقطعون بمصدر الأصل إلا بنص منقول ، وبناءً على عدم القدرة على تحديد الأصل من مقلوبه إلا بنص نسمعه عن العرب ، لا يمكن لأي باحث أنْ يقدم دراسة صوتية للأصوات التي حصل فيها قلب مكاني ، لكن لابد من تحقيق خطوة في هذا الاتجاه ، لذلك قمت بما يأتي :

جمعت الكلمات الرباعية التي حصل فيها قلب مكاني وفيها نص يظهر لنا الأصل من مقلوبه ، ورتبتها مع معانيها بحسب الترتيب الألفبائي :

التسلسل	الأصل	المقلوب	معناه	المادة المذكور فيها
1-	حَرْزَق	حَزْرَق	حبسهُ وضيّقَ عليه	ذكره ابن منظور في (ح ر زق)
2-	دلمص	دملص	البرّاقُ الذي يبرقُ لونه	ذكره ابن منظور في (د م ل ص)
3-	ذعلب	ذلعب	انطلقَ الرجلُ في جِدٍّ	ذكره ابن منظور في (ذ ل ع ب)
4-	ذمقر	مذقر	تقطّع اللبن وتفلّق	ذكره ابن منظور في (م ذ ق ر)
5-	زلقم	قلزم	البحر	ذكره ابن منظور في (ق ل ز م)
6-	شبرق	شربق	ثوبٌ شربق وشبرق:ممزق،وشربق لغة في شبرق	ذكره ابن منظور في (ش ر ب ق)
7-	اضمحل	امضحل	ذهب،والدليل على القلب انّ المصدر هو الاضْمِحلال ولا يقولون امْضِحْلال	ذكره ابن منظور في (ض م ح ل)
8-	طأمن	اطْمَأَنَّ	سكن، رأي سيبويه:اطمأن مقلوب طأمن	ذكره ابن منظور في (ط م ن)
9-	طحمر	طمحر	السقاء ملأه أو القوس شدّ وترهُ	ذكره ابن منظور في (ط م ح ر)

10-	طرمح	طرحم	الطُّرْحُومُ:الطويل	ذكر ذلك ابن منظور في ترجمة المادتين
11-	عرصف	عرفص	العِرْصافُ: الخصلة من العَقَبِ التي يُشَدُّ بها على قُبَّةِ الهودجِ،والعرافيص لغة في العراصيف	ذكره ابن منظور في (ع ر ف ص)
12-	عيهر	هيعر	الهيعرة من النساء : التي لا تستقر من غير عفة	ذكره ابن منظور في (هـ ع ر)
13-	غذرم	غذمر	باع الشيء جزافاً	ذكره ابن منظور في (غ ذ م ر)
14-	غرضف	غضرف	الغضروف: كلّ عظمٍ ليّنٍ رخْصٍ في أي موضعٍ كان	ذكره ابن منظور في (غ ر ض ف)
15-	قمعل	قلعم	القُلْعُمُ: القَدَحُ الضخْمُ بلغة هُذيل	ذكره ابن منظور في (ق م ع ل)
16-	اكفهر	اكرهف	المُكْرَهِفُ لغة في المكفهر، وفلان مكفهِرُّ الوجهِ: إذا ضرب لونُهُ إلى الغُبرة مع الغِلَظِ	ذكر ذلك ابن منظور في ترجمة المادتين
17-	لعمظ	لعظم	انتهس العظمَ ملءَ الفمِ	ذكره اللسان في (ل ع م ظ)
18-	هجرع	هرجع	الهِجْرَعُ: الطويلُ الممشوق أو الطويلُ الأعرج، وهرجع لغة	ذكر ذلك ابن منظور في ترجمة المادتين

ونلاحظ أنّ الأمثلة التي جمعتها من لسان العرب وفيها قلب مكاني أكثرها لغات ، وقال ابن فارس : (اختلاف لغات العرب من وجوه ... ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير، نحو: صاعقة وصاقعة) .(92)

ولو نظرنا نظرة متفحصة للأصوات التي حصل فيها قلب لوجدنا أنّ الكلمات الرباعية تشتمل بكثرة على الأصوات المذلقة ، وأدرك ذلك عالم العربية ابن جني بفطرته السليمة ، إذ قال عن هذه

الأصوات الستة (ل.ن.ر.ف.ب.م): (وذلك أنّك متى رأيت اسماً رباعياً أو خماسياً غير ذي زوائد فلا بد فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين وربما كان فيه ثلاثة ...) (93)

والسيوطي علل وجودها في الرباعي بعبارة مختلفة عن ابن جني ومعناهما واحد، إذ قال: لتجبر خفتها ما في الرباعي من ثقل ، وهذه الأصوات الستة أكثر ما تقع بين صوتين ثقيلين أو تقع أول الكلمة أو آخرها (94)، وهذه الأصوات المذلقة الستة من أسهل الأصوات ، فضلاً عن جمالها ، إذ لا احتكاك فيها ولا انفجار كما انها من أوضح الأصوات في السمع ، فصفة الغنة لصوتي النون والميم ، وصفة التكرار لصوت الراء ، وصفة الانحراف لصوت اللام تجعلها من أوضح الأصوات وتزيد من درجة استمراريتها في السمع (95).

وبملاحظة الأصوات التي وقع فيها قلب مكاني في الأمثلة المجموعة ، وجدت أنّ القلب وقع بين صوتين فقط ، كما وجدتُ أنّ أكثر الأصوات التي وقع فيها القلب هي من الأصوات المذلقة ، وكما يأتي وبحسب نسب وقوعها تنازلياً : (م،ر،ل،ف) ، وأظن أنّ جمال هذه الأصوات وسهولة التحكم في مخارج أصواتها في أثناء القلب هو السبب وراء تفضيل العربي للقلب فيها ، ويمكن تقسيم الكلمات التي حصل فيها قلب مكاني إلى ما يأتي :

1-أكثر الكلمات التي حصل فيها قلب كان بين صوتين أحدهما من الأصوات المذلقة ، والعرب قدمت في أثناء القلب الصوت المذلق على الآخر فيبادله مكانه ، وبلغ عدد تكرارها (7) مراتٍ، وكأن العربي يؤثر الخفة والجمال في الأصوات الأولى من الكلمة لجذب انتباه السامع ، والكلمات هي:

ذعلب قلب إلى ذلعب ، وذمقر قلب إلى مذقر، واضمحل قلب إلى امضحل، وطأمن قلب إلى اطمأن ، وطحمر قلب إلى طمحر ، وعرصف قلب إلى عرفص ، وهجرع قلب إلى هرجع .

وتقديم الصوت المذلق الخفيف الجميل في بداية الكلمة يعطيها انسيابية أكثر في أثناء النطق كما أنّ تأثير اللحظات الأولى في أثناء الكلام على المتلقي أقوى من تأثير اللحظات التي تليها ، فإذا قدمت الصوت الأجمل في بداية كل لفظة أكون قد كسبت المتلقي وأثرت فيه ، كما نقدِّم أجمل العبارات في بداية الكلام ونؤخر الأقل تأثيراً .

3-كلمات يقع القلب بين صوتين كلاهما مذلق ، وبلغ عددها(5) كلماتٍ ، هي :

دلمص قلبت إلى دملص ، شبرق قلبت إلى شربق ، غذرم قلبت إلى غذمر ، قمعل قلبت إلى قلعم ، اكفهر قلبت إلى اكرهف ، ونلاحظ أنّ كل كلمة فيها الصوتان المذلقان المقلوبان أحدهما من مخرج الذلق (ل.ن.ر) والآخر من مخرج الشفة أوالشفوي الأسناني (ف.ب . م) .

3-قسم من الكلمات وقع القلب بين صوتين أحدهما مذلق والآخر غير مذلق ، والصوت الأول بعد القلب هو غير المذلق ، وبلغ عدد تكراره(4) مراتٍ ، ووقع في الكلمات الآتية :

حَرْزَق قُلِبَ إلى حَزْرَق ، غرضف قُلِبَ إلى غضرف ، طرمح قُلِبَ إلى طرحم ، لعمظ قلب إلى لعظم ، ففي الأمثلة الثلاثة (غرضف وطرمح ولعمظ) فنلاحظ في هذه الأمثلة أن العرب تتبع في الصوتين المقلوبين قاعدة الانتقال من مخرج صوتي إلى آخر يتبعه في التسلسل في السلسلة المنطوقة ، وبدون طفرة بين المخارج ، وغالبا ما يكون الانتقال من المخرج الصوتي الأعمق ، أي : من بداية الحلق باتجاه الشفة وهذه النتيجة تتفق بما ذكره السيوطي في (المزهر) نقلاً عن عروس الأفراح ، إذ قال : (إنّ رتب فصاحة الكلمة تخفُّ وتثقلُ بحسب الانتقال من حرفٍ إلى حرفٍ لا يلائمهُ قرباً أو بعداً) (96) ، ثم قسم مراتب فصاحة الكلمات الثلاثية إلى اثنتا عشرة رتبة ، وأحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالاً ما كان الانتقال فيه من المخرج الصوتي الأعلى إلى الأوسط ثم الأدنى (97) ، وقصد بالمخرج الصوتي الأعلى حسب المناطق التي حددها اللغويون القدماء بالنسبة لدراسة ظاهرة التأليف هو مخرج الحلق وفيه ستة أصوات ،هي : (ء.هـ.ع .ح.غ .خ)، فضلاً عن مخرج اللهاة ويضم : (ق.ك) ، أما المخرج الصوتي الأدنى فهو الشفوي ويضم : (ب.م.و)، فضلا عن الشفوي الأسناني(ف)(98) ، أما المنطقة الوسطى فهي المحصورة بين المنطقتين المذكورتين وتشمل ما يأتي من الحلق باتجاه الشفتين، وبحسب التسلسل ، كما يأتي :

1-ج.ش.ي.

2-ض.

3-ل.ن.ر.

4-ط.د.ت.

5-ز.س.ص.

6-ظ.ذ.ث.

والمقام في هذا البحث لا يستوجب عرض كل المراتب بل سأذكر محل الشاهد فقط ، إذ قال : وأحسن التراكيب ما تقدمت فيه نُقلة الانحدار من غير طفرة ، والطفرة هي الانتقال من الأعلى إلى الأدنى أو عكسه ، أي : إنّ تتابع مخارج أصوات الكلمة الفصحى تكون متتالية وبحسب المناطق التي ذكرتها ولا يحدث بين صوت وآخر قطع وطفرة إلى منطقة أُخرى (99) ، وهذه الطريقة في تأليف الكلمات من أصوات متباعدة في المخارج ، تنسجم مع ما ذكره ابن جني في (سر الصناعة) عن أضرب التأليف الثلاثة وأحسنها ما تباعدت مخارجه ، وهو أغلب كلام العرب (100) ، كما قال ابن دريد عن تأليف الكلمات العربية : (إذا تباعدت مخارج الحروف حَسُنَ تأليفها ...) (101) وممن قال : إنّ أفضل تأليف للكلمات العربية ما كان بين الأصوات المتباعدة المخارج ابن السكيت (102) ، وأبو الطيب اللغوي في كتاب(الإبدال) ، ومنهجهما في جمع الكلمات يدل على قبولهما هذا النوع من التأليف ، ومن الأمثلة التي أوردها أبو الطيب قوله : إبدال التاء قافا في سبته وسبقه (103) ، وإبدال التاء واواً في تَكَلَة ووَكَلَة (104) ، ونلاحظ أنّ عدداً من الدراسات الحديثة المبنية

على استقراء كلام العرب تثبت أنّ العرب تفضل الأصوات المتباعدة في المخارج إذا اضطرت إلى الإبدال للتخلص من ثقل اللفظ كما في ظاهرة المخالفة(105) ، وكذلك نلاحظ أنّ طرمح يتوالى فيها صوتان مذلقان هما الراء والميم ، والأصوات المذلقة في الرباعي تفصل بها العرب بين الأحرف الثقيلة ففصلت بينهما بالحاء فقالوا : طرحم ، وقال السيوطي عن ذلك: (وأكثر ما تقع الحروف الثقيلة فيما فوق الثلاثي مفصولاً بينها بحرف خفيف) (106) ، كما أخر العرب الميم ، لأنّ أكثر صوتٍ مذلق يأتي في نهاية الرباعي هو صوت الميم ، لذلك حصل القلب بهذا الشكل ، أما (حرزق) ، فلم تراعِ العرب في قلبهما التسلسل في السلسلة المنطوقة ، ونلاحظ أنّه الأقلّ وقوعاً .

4-كلمات وقع القلب فيها بين صوتين كلاهما غير مذلق ، وتكرر مرتين فقط ، في :

زلقم قلب إلى قلزم ، وعيهر قلب إلى هيعر ، وواضح أنّ العرب راعت في قلبهما التسلسل في السلسلة المنطوقة ، وعموماً فإنّ العرب في القلب تتجه إلى الأصوات المذلقة ، وغالباً تقدم المذلق على غيره ، أما إذا لم تقدم المذلق فإنّها تراعي التسلسل في السلسلة المنطوقة من الحلق باتجاه الفم وبدون طفرة بين المخارج ، وهذه أفصح مراتب الكلام ، وأكثر الأصوات المذلقة التي يحصل فيها القلب ، هي : الميم ، ثم الراء ، ثم اللام ، وأخيراً الفاء .

ولنحصل على نتائج صوتية أكثر دقة في هذا الموضوع نحتاج إلى ما يأتي :

1-تحديد الأصل لكل مقلوب مكاني.

2-تحديد الأصوات الأكثر التي وقع فيها قلب مكاني وتدريجها بحسب التسلسل ، فضلاً عن تحديد الصوت الذي قبله وبعده .

3-معرفة المراتب المفضلة لكل صوت في الرباعي.

الخاتمة والنتائج

القلب المكاني ظاهرة معروفة في العربية ، وورثتها من العربية الأم ، وتشارك فيها الألسن القديمة فنجدها في الأكدية والعبرية والآرامية والحبشية واليونانية واللاتينية ، لكنه أكثر فشواً في العربية ، وكذلك نجده في ألفاظ العامة قديماً وحديثاً ،كما نجده في كل اللهجات العربية ، كالعراقية والمصرية والسورية وغيرها ، كما يقع في كلام الأطفال ، وهذه الدراسة مبنية على الاستقراء والتحليل للبيانات من خلال كلام العرب ثم تحليل النصوص والاستنتاج ، ويمكن أنْ نعد هذه الطريقة في الدراسات الحديثة خير مجال للحراك الحقيقي للوصول إلى النتائج عن طريق الواقع التجريبي لتسجيل الظواهر في اللغة لعربية والوصول إلى نتائج مرضية وجديدة ، وقد وضعتُ تعريفاً إجرائياً_للقلب المكاني وهو: تغيير في أصوات الكلمة الواحدة تقديماً وتأخيراً ويشترك الأصل والمقلوب في المعنى أو

يتقاربان ، وقد يقع القلب بين صوتين متجاورين أو مفصولين أو بين ثلاثة أصوات متجاورة في الرباعي ، كما انّ القلب قد يتكرر لمرتين أو ثلاث لكلمة رباعية واحدة.

أما أسباب حدوث القلب فكثيرة ، وليس شرطاً أن يكون كل القلب المكاني له سبب واحد، فقد تختلف أسباب القلب لكل مجموعة من الكلمات ، ومن الأسباب التي ذكرتها، هي: السهولة والتيسير والتفنن في اللفظ ، والتوهم السمعي والخطأ ، والبيئة الجغرافية ، والحالة النفسية ، والتفاعل بين اللغات ، والتطور الدلالي ، والوصول بالكلمة المقلوبة إلى درجة أعلى من الفصاحة ، والأسباب الثلاثة الأخيرة من نتائج البحث العملي .

وفي هذا البحث وقفتُ على عددٍ من الكلمات المعرّبة التي حصل فيها قلب مكاني ، فقد وقع قلب مكاني لمرة واحدة في عددٍ من الكلمات ، مثل : شربق وشبرق، وسلمج وسلجم ، وقهرمان وقرهمان ، على أساس ان أحدهما أصلا والثاني مقلوب عنه ، كما وقع قلب لمرتين في الرباعي المعرّب (كسعم) و(كعسم) و(عكسم) ، بمعنى الحمار ، حميرية ، والقلب لمرتين من استنتاج الباحثة ، فنلاحظ أنّ الكلمات المعرّبة اكتسبت خصائص اللغة التي انتقلت إليها ، بل يمكننا القول إنّها عربية ، وأجد أنّ قول العلماء إنّها معرّبة من باب الإشارة إلى الأصل فقط ، كما نلاحظ أنّ هذه الكلمات من أصولٍ مختلفة فبعضها فارسي ومنها حميري .

وفي ضوء الاستقراء للقلب المكاني في الرباعي من(لسان العرب)لابن منظور وكتاب (الأفعال) لابن القطاع ، تبيّن أنّ الأصوات التي يقع فيها قلب مكاني يمكن تصنيفها ،كما يأتي:

أولاً: القلب بين صوتين في الرباعي، وهو على أنواع، كما يأتي :

أ–القلب بين الصوتين الثاني والثالث ، وبلغ عدد الأمثلة الرباعية التي أحصيتها ، (36)مثالاً.

ب–القلب بين الصوتين الثالث والرابع ، وبلغ عدد الأمثلة التي أحصيتها ، (31) مثالاً.

ج–القلب بين الصوتين الأول والثاني ، وبلغ عدد الأمثلة المجموعة ، (14) مثالاً.

د–القلب بين الصوتين الأول والثالث ، وبلغ عدد الأمثلة المجموعة ، (9)أمثلةٍ.

هـ–القلب بين الصوتين الثاني والرابع ، وبلغ عدد الأمثلة التي جمعتها ، (4)أمثلةٍ .

ثانياً: القلب المكاني في الرباعي بين ثلاثة أصوات ، وبلغ عدد الأمثلة التي جمعتها،(4)فقط.

أما أنواع القلب المكاني، فهي كما يأتي :

أولاً:القلب لمرةٍ واحدة ،مثل: بخلص وبلخص .

ثانياً: القلب لمرتين ، وهو أقلُّ وقوعاً من القلب الثنائي ، مثل : جثعل وجعثل وعثجل ، وبلغ عدد أمثلته التي جمعتها ،(18) مثالاً.

ثالثاً: القلب لثلاث مراتٍ ، وهو أقلُّ الأنواعِ وقوعاً ، مثل : بعنق وعبنق وعقنب وقعنب ، وعدد أمثلته التي جمعتها ،(2) فقط .

وكثير من أمثلة القلب بأنواعه الثلاثة من استنتاج الباحثة ، وهو مبني على أقوال العلماء القدماء ، وهذا عذري للربط بين المعاني والاستنتاج .

وعلى ضوء أنواع القلب المكاني تبيّنت مجموعة من الخصائص الصوتية للقلب المكاني ، هي كما يأتي :

1-القلب بين صوتين في الرباعي أكثر من القلب بين ثلاثة أصوات .

2-القلب بين صوتين متجاورين أكثر من القلب المكاني بين الأصوات غير المتجاورة ، إذ بلغ مجموع القلب في الأصوات المتجاورة (81) مرةً وغير المتجاورة (13) مرةً.

3- إنّ العربي يفضل في القلب الأصوات الوسطية في الرباعي وبلغ مجموعها (36) مرة ثم الصوتين الأخيرين المتجاورين وبلغ مجموعها(31) مرة ، وفي المرتبة الأخيرة يفضل العربي القلب بين الصوتين الأولين من الرباعي وبلغ مجموعها (14)مرة.

4- القلب بين ثلاثة أصوات أقل وقوعا من القلب بين صوتين ، فضلاً عن أن العربي يختار الأصوات الثلاثة المتجاورة الأخيرة في الرباعي ، أي : تتفق الخصائص الصوتية سواء كان القلب بين صوتين أو ثلاثة فوقع اختيار العربي على الأصوات المتجاورة الوسطية والأخيرة.

وبملاحظة الأصوات التي وقع فيها قلب مكاني في الأمثلة المجموعة ، وجدت أنّ القلب وقع بين صوتين فقط ، كما وجدتُ أنّ أكثر الأصوات التي وقع فيها القلب هي من الأصوات المذلقة ، وكما يأتي وبحسب نسب وقوعها تنازلياً : (م،ر،ل،ف) ، وأظن أنّ جمال هذه الأصوات وسهولة التحكم في مخارج أصواتها في أثناء القلب هو السبب وراء تفضيل العربي للقلب فيها ، ويمكن تقسيم الكلمات التي حصل فيها قلب مكاني إلى ما يأتي :

1-أكثر الكلمات التي حصل فيها قلب كان بين صوتين أحدهما من الأصوات المذلقة ، والعرب قدمت في أثناء القلب الصوت المذلق على الآخر فيبادله مكانه ، وبلغ عدد تكرارها (7) مراتٍ، وكأن العربي يؤثر الخفة والجمال في الأصوات الأولى من الكلمة لجذب انتباه السامع وتقديم الصوت المذلق الخفيف الجميل في بداية الكلمة يعطيها انسيابية أكثر في أثناء النطق كما أنّ تأثير اللحظات الأولى في أثناء الكلام على المتلقي أقوى من تأثير اللحظات التي تليها ، فإذا قدمت الصوت الأجمل في بداية كل لفظة أكون قد كسبت المتلقي وأثرت فيه ،كما نقدِّم أجمل العبارات في بداية الكلام ونؤخر الأقل تأثيرا .

2-كلمات يقع القلب بين صوتين كلاهما مذلق ، وبلغ عددها(5) كلماتٍ ، نلاحظ أنّ كل كلمة فيها الصوتان المذلقان المقلوبان أحدهما من مخرج الذلق (ل.ن.ر) والآخر من مخرج الشفة أوالشفوي الأسناني (ف.ب . م).

3-قسم من الكلمات وقع القلب بين صوتين أحدهما مذلق والآخر غير مذلق ، والصوت الأول بعد القلب هو غير المذلق ، وبلغ عدد تكراره(4) مراتٍ ، ونلاحظ في هذه الأمثلة أن العرب تتبع

في الصوتين المقلوبين قاعدة الانتقال من مخرج صوتي إلى آخر يتبعه في التسلسل في السلسلة المنطوقة ، وبدون طفرة بين المخارج ، وغالبا ما يكون الانتقال من المخرج الصوتي الأعمق ، أي : من بداية الحلق باتجاه الشفة وهذه النتيجة قرنتها بما ذكره السيوطي في (المزهر) ، فقد قسم مراتب فصاحة الكلمات الثلاثية إلى اثنتا عشرة رتبة ، وأحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالاً ما كان الانتقال فيه من المخرج الصوتي الأعلى إلى الأوسط ثم الأدنى .

وقصد بالمخرج الصوتي الأعلى حسب المناطق التي حددها اللغويون القدماء بالنسبة لدراسة ظاهرة التأليف هو مخرج الحلق وفيه ستة أصوات ، هي :(ء.هـ.ع .ح.غ .خ) ، فضلاً عن مخرج اللهاة ويضم : (ق.ك) .

أما المخرج الصوتي الأدنى فهو الشفوي ويضم : (ب.م.و) ، فضلا عن الشفوي الأسناني (ف).

أما المنطقة الوسطى فهي المحصورة بين المنطقتين المذكورتين وتشمل ما يأتي من الحلق باتجاه الشفتين، وبحسب التسلسل،كما يأتي:(ج.ش.ي ، ض، ل.ن.ر، ط.د.ت ، ز.س.ص ، ظ.ذ.ث)

وأحسن التراكيب ما تقدمت فيه نُقلة الانحدار من غير طفرة ، والطفرة هي الانتقال من الأعلى إلى الأدنى أو عكسه ، أي : إنّ تتابع مخارج أصوات الكلمة الفصحى تكون متتالية وبحسب المناطق التي ذكرتها ولا يحدث بين صوت وآخر قطع وطفرة إلى منطقة أُخرى ، وهذه الطريقة في تأليف الكلمات من أصوات متباعدة في المخارج ، تنسجم مع ما ذكره ابن جني في (سر الصناعة) عن أضرب التأليف الثلاثة وأحسنها ما تباعدت مخارجه ، وهو أغلب كلام العرب ، وهذا يتفق مع رأي ابن د ريد ، وأبو الطيب اللغوي ، وغيرهم .

4-كلمات وقع القلب فيها بين صوتين كلاهما غير مذلق ، وتكرر مرتين فقط ، وواضح أنّ العرب راعت في قلبهما التسلسل في السلسلة المنطوقة.

وعموماً فإنّ العرب في القلب تتجه إلى الأصوات المذلقة ، وغالباً تقدم المذلق على غيره ، أما إذا لم تقدم المذلق فإنّها تراعي التسلسل في السلسلة المنطوقة من الحلق باتجاه الشفتين وبدون طفرة بين المخارج ، وهذه أفصح مراتب الكلام في تأليف كلام العرب .

ولنحصل على نتائج صوتية أكثر دقة في هذا الموضوع نحتاج إلى ما يأتي :

1-تحديد الأصل لكل مقلوب مكاني.

2-ثم تحديد الأصوات الأكثر التي وقع فيها قلب مكاني وتدريجها بحسب التسلسل ، فضلاً عن تحديد الصوت الذي قبله وبعده.

3-معرفة المراتب المفضلة لكل صوت في الرباعي .

قائمة المصادر

"المصدر الأول هو مصدر العربية الأول :القرآن الكريم" .

أ- الرسائل والأطاريح :

1-الأصوات المذلقة في العربية،ولاء صادق محسن، إطروحة دكتوراه،بغداد،1992م.

2- القلب والإبدال في اللغة،عادل أحمد زيدان، إطروحة دكتوراه،بغداد،1978م.

ب-الكتب المطبوعة:

1-الإبدال : أبو الطيب،عبد الواحد بن علي اللغوي،ت351هـ،تحقيق:عز الدين التنوخي،مطبوعات مجمع اللغة العربية،دمشق،1961م.

2-ابن السكيت اللغوي،ت244هـ،د.محيي الدين توفيق،ط1،مطبعة دار الجاحظ،بغداد،1969 .

3- الأفعال،ابن القطاع،أبو القاسم علي بن جعفر،ت515هـ،ط1،حيدر آباد الدكن1361هـ .

4-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،ت911هـ،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية،بيروت.

5-التطور اللغوي التاريخي، د.إبراهيم السامرائي، نشر معهد البحوث والدراسات العربية،1966.

6-التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر، أخرجه وصححه وعلّق عليه :د.رمضان عبد التواب،ط4،مكتبة الخانجي،القاهرة،2003م.

7-تهذيب اللغة ، الأزهري،أبو منصور محمد بن أحمد،ت370هـ،تحقيق:محمد عوض مرعب،ط1،دار إحياء التراث العربي،بيروت،2001م .

8-الجمهرة ،ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري،ت321هـ،دار صادر .

9-الخصائص، أبو الفتح بن جني،ت392هـ ،تحقيق:محمد علي النجار،ط2،دار الكتب المصرية،القاهرة،1955م.

10-دروس في علم الصرف ،د.علي جابر المنصوري وعلاء الدين هاشم الخفاجي،بغداد،1990م.

11-ديوان الأدب ،الفارابي،أبو اسحاق بن إبراهيم بن الحسين،ت350هـ،تحقيق:د.أحمد مختار عمر،مراجعة :د.إبراهيم أنيس،مؤسسة دار الشعب،القاهرة،2003م.

12-سر صناعة الأعراب،ابن جني،تحقيق:د.حسن هنداوي،ط1،دار القلم،دمشق،1985م.

13--شرح شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط،للخضر اليزدي أتمه سنة 720هـ،تحقيق:د.حسن أحمد العثمان،ط1،ذوي القربى،1433هـ.

14-الصاحبي في فقه اللغة [22] في كلامها،أبو الحسين،أحمد بن فارس،(ت395هـ)،مطبعة المؤيد،القاهرة،1910م.

15-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،الجوهري،أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري،ت393هـ،تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار،ط4،دار العلم للملايين،بيروت،1987م.
16 – ظاهرة القلب المكاني في العربية ، د عبد الفتاح الحموز ، ط1 ، دار عمار ،عمان ، 1986م .
17-فصول في فقه العربية،د.رمضان عبد التواب،ط3،مطبعة المدني،القاهرة،1987م.
18-الفلسفة اللغوية،جرجي زيدان،دار الهلال.
19-في التطور اللغوي،د.عبد الصبور شاهين،ط1،مكتبة دار العلوم،القاهرة،1975م.
20-الكتاب،سيبويه،أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت180هـ،تحقيق:عبد السلام هارون،ط2،دار الجيل للطباعة القاهرة،1982م.
21- الكنز اللغوي في اللسن العربي:د.أُوغست هفنر،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1903م.
22-لحن العامة والتطور اللغوي،د.رمضان عبد التواب،ط1،1967م.
23-لسان العرب:ابن منظور،محمد بن مكرم،ت711هـ،إعداد وتصنيف:يوسف خيّاط ونديم مرعشلي،قدّم له:عبد الله العلايلي،دار لسان العرب،بيروت.
24-اللغة ،فندريس،ترجمة:عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص،1950م.
25-المبدع الملخص من الممتع،أبو حيان الأندلسي،محمد بن يوسف،ت745هـ،تحقيق:د.مصطفى أحمد النماس،مكتبة الأزهر،القاهرة،1983م.
26-المخالفة دراسة صرفية صوتية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة،د.هيام فهمي إبراهيم،مطبعة صخر،بغداد،2007م.
27-المزهر في علوم اللغة وأنواعها،السيوطي،عبد الرحمن جلال الدين،ت911هـ،تحقيق:محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي،المكتبة العصرية،بيروت،1986م .
28-مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة،د.نعمة رحيم العزاوي،ط1،دار الشؤون الثقافية العامة،الموسوعة الصغيرة،بغداد، 1990م.
29-المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم:محمد فؤاد عبد الباقي،مطابع الشعب،1378هـ.
30-المعرّب،أبو منصور الجواليقي،تحقيق:أحمد محمد شاكر،1361هـ.
31-المُقرّب،ابن عصفورالأندلسي،علي بن مؤمن،ت669هـ،تحقيق:د.عبد الستار الجواري،ود.عبد الله الجبوري،مطبعة العاني ،بغداد،1971م .
32-نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها،الأب انستاس ماري الكرملي،مكتبة الثقافة الدينية.

ج- البحوث:

1-التغييرات التاريخية والتركيبية للأصوات اللغوية:د.رمضان عبد التواب،مجلة مجمع اللغة العربية،دمشق،المجلد الخمسون،الجزء الأول،1975م.

---

[1]).ينظر : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها 18 ، والتطور النحوي 36 .
[2]) . ينظر : المعرّب 139 و 134 .
[3]). ينظر التطور اللغوي التاريخي 116 .
[4]) . ينظر في التطور اللغوي 78 .
[5]). ينظر القلب والإبدال في اللغة ، أطروحة دكتوراه ، عادل أحمد زيدان ، آداب بغداد ، 1978م ، ص 193 .
[6]). المصدر نفسه ، ص 194 .
[7]) . ينظر لسان العرب (ق ل ب) .
[8]). ينظر لحن العامة والتطور اللغوي 44 و 48 .
[9]). ينظر اللسان (د م ق س) و (د م ل ص).
[10]) . الخصائص 2 / 134 .
[11]). ينظر الخصائص 2 / 134 – 135 .
[12]). ينظر ابن السكيت اللغوي 254 .
23
[13]). القصص 12 .
[14]). الشعراء 77 .
[15]).ينظر الصاحبي 172 – 173 .
[16]). الفلسفة اللغوية 59 .
[17]). اللسان (ع هـ ر) .
[18]). اللسان (س هـ ق) ، وينظر (ق هـ س) .
[19]). نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها 17 .
[20]) . الفلسفة اللغوية 59 .
[21]) . ينظر لسان العرب (ب ث ع ر) و (ب ع ث ر) .
[22]). الخصائص 2 / 82 .
[23]). ينظر :لحن العامة والتطور اللغوي 44 ،والفلسفة اللغوية59، ومظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة 57 ، وظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية 52 – 76 ، وفصول في فقه العربية 249 .
[24]). لحن العامة والتطور اللغوي 44 ، وينظر : مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة 57 .
[25]). ينظر الفلسفة اللغوية 59 ، والقلب والإبدال ، أطروحة دكتوراه ، أحمد زيدان عادل ، كلية الآداب جامعة بغداد 1978 ، ص 193.
[26]). ينظر الخصائص 2 / 82 .
[27]) . اللسان (ع س ب ر) .
[28]). اللسان (ب هـ ل ق) .
[29]) . اللسان (ز هـ ل ق) وينظر (هـ ز ل ق) .
[30]). الصحاح (ل ج ز) ، وفصول في فقه العربية 249 .
[31]). اللغة 94 .
[32]). ينظر التطور اللغوي التاريخي 116 .
[33]). التطور النحوي للغة العربية 35 .
[34]). ينظر الصاحبي 19 .
[35]). اللسان (غ ذ ر م) وينظر (ط ح م ر) و (ط م ح ر) و(ذ م ق ر) و (م ذ ق ر) .
[36]). ينظر اللسان (ش ر ب ق) .
[37]). ينظر : اللسان (ق ر هـ م) و (ق هـ ر م) و (ك س ع م) و (ك ع س م) و(ع ك س م) و (س ل ج م) و(س ل م ج) .
[38]). لسان العرب (ب ر ش ق) .

[39]). اللسان (ب ر ق ش)
[40]). ينظر المزهر 1 / 481 .
[41]). ينظر الكتاب 4 / 381 و 465 و 468 .
[42]) . ينظر اللسان (ع هـ ر) .
[43]). ينظر الخصائص 2 / 76 .
[44]). ينظر المزهر 1 / 477 .
[45]) . ينظر الخصائص 2/ 70 ، والمزهر 1 / 478 .
[46]) . ينظر المزهر 1 / 479 .
[47]) . ينظر المزهر 1/ 479 .
[48]). ينظر المزهر 1 / 480 .
[49]). جمهرة اللغة 3 / 313 باب الباء والعين في الرباعي الصحيح ، وباب الباء والغين في الرباعي الصحيح .
[50]) . ينظر الخصائص 2 / 70 ، و 76 .
[51]). ينظر المزهر 1 / 481 .
[52]). ينظر المزهر 1 / 481 .
[53]). ينظر ديوان الأدب 2 / 204 .
[54]). ينظر اللسان (ز ل ق م) و(ق ل ز م).
[55]). ينظر تهذيب اللغة (هـ ع ر) و (ق م ع ل) .
[56]). ينظر الصحاح (ل ج ز) .
[57]). ينظر المزهر 1 / 481 .
[58]). ينظر الخصائص 2 / 75 .
[59]). المزهر 1 / 481 .
[60]). ينظر التطور النحوي للغة العربية 35 .
[61]). ينظر نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها 16 .
[62]). ينظر لحن العامة والتطور اللغوي 44 و 48 .
[63]). ينظر بحث التغيرات التاريخية والتركيبية للأصوات اللغوية ، د. رمضان عبد التواب ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد 50)، ج الأول ، ص 38 .
[64]). الفلسفة اللغوية 59 .
[65]). في التطور اللغوي 78 .
[66]). لسان العرب (ب هـ ل ق) .
[67]). لسان العرب (ط ر ح م) و (ط ر م ح).
[68]). ينظر الكتاب 4 / 381 ، والخصائص 2 / 74 .
[69]). الخصائص 2 / 69 .
[70]). ينظر الخصائص 2 / 69 – 70 .
[71]). الخصائص 2 / 70 .
[72]) ينظر المصدر نفسه 2 / 70 – 73 .
[73]). المزهر 1 / 481 .
[74]). المزهر 1 / 481 .
[75]). المقرب 558 .
[76]). المزهر 1 / 481 .
[77]). اللسان (ذ م ق ر).
[78]). المبدع الملخص من الممتع 81 – 82 .
[79]). ينظر التطور النحوي 35 – 36 .
[80]). ينظر التطور النحوي 36 .
[81]). ينظر شرح شافية ابن الحاجب للخضر اليزدي 1/ 150 – 160 ، ودروس في علم الصرف 20 – 24 .
[82]) . لسان العرب (ق م ع ط) و (م ق ع ط) .
[83]) . لسان العرب (ط ر م ق) .
[84]). لسان العرب (غ ن ب ل) وينظر : (ن غ ب ل) .

[85]) . ينظر لسان العرب (د م ق س) .
[86]). لسان العرب (ص ع م ر) .
[87]) . ينظر لسان العرب (ش ر ب ق) و (ش ب ر ق) .
[88]). لسان العرب (س ل م ج) .
[89]) . ينظر لسان العرب (ق ر هـ م) و (ق ر هـ م) .
[90]). ينظر اللسان (ك س ع م) و(ك ع س م) و (ع ك س م) .
[91]). لسان العرب (ب ع ن ق) .
[92]) . الصاحبي 19 .
[93]). سر صناعة الاعراب 1 / 64 .
[94]) . ينظر المزهر 1 / 198 .
[95]). ينظر الأصوات المذلقة في العربية ، أطروحة دكتوراه ، ولاء صادق محسن ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1992م ، ص 415 .
[96]). المزهر 1 / 197 .
[97]). ينظر المزهر 1 / 197 – 198 .
[98]). ينظر اللغة العربية معناها ومبناها 265 – 270 .
[99]) . ينظر المزهر 1 / 194 .
[100]). ينظر المزهر 1 / 194 .
[101]). مقدمة الجمهرة 1 / 11 .
[102]). ينظر الكنز اللغوي 16 و46 و 49 و 54 .
[103]) . ينظر الإبدال 1 / 138 .
[104]). ينظر المصدر نفسه 1 / 149 .
[105]). ينظر المخالفة دراسة صرفية صوتية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة 368 .
[106]). المزهر 1 / 198 .